٤ـ الحديث المدرج

الإدراج هو إدخال شيء في شيء آخر ، والحديث المدرج هو الحديث الذي اشتمل على زيادة في متنه أو سنده ليست منه ، وتكون الزيادة بالمصادفة والسهو من غير قصد ، ولا تكون مقصودة وإلا كان صاحبها وضّاعاً ، قال الإمام السمعاني : « من تعمَّد الإدراج فهو ساقط ، وممن يحرف الكلم عن مواضعه ، وهو ملحق بالكذّابين »[١] .

أ ـ الإدراج أول المتن :

وأكثر ما يحدث في المتن ، كأن يدخل الراوي عبارة موضحة أو يستنبط حكماً سواء في أول المتن أو وسطه أو آخره ، ويرى بعضهم[٢] أن وقوعه في الأول هو الأكثر، وبعضهم يرى أن أغلب الزيادة في آخر المتن، وتكون الزيادة للصحابي أو من دونه ويظنها آخرون كلمات مرفوعة .

وكانت لعلمائنا عناية بالإدراج حتى لا يظن من يأتي بعدهم أن الكلام الزائد من صلب السند أو المتن ، وهذا البحث دلالة على عنايتهم بما ينقلون ونظرهم الدقيق في جزئيات الرواية على خلاف ما يتفوّه به أعداء الإسلام .

وهذا مثل حديث عن طريق أبي قَطَن وشَبَابة بن سوار عن شعبة عن محمد بن زيادة القرشي (١٢٠هـ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

---

(١) تدريب الراوي ، ص/ ٩٨ .

(٢) توضيح الأفكار : ٢/ ٥٣ حاشية .

قال رسول الله ﷺ : « أسبغوا الوضوء ، ويل للأعقاب من النار » .

وعبارة : « أسبغوا الوضوء » ليست من الكلام النبوي ، وهي من كلام أبي هريرة رضي الله عنه فتوهم أبو قَطَن وشبابة أن العبارة الأولى من المتن.

وكانت الرواية في صحيح البخاري ح(١٦٥) على الشكل الآتي : عن آدم بن أبي إياس (٢٢١هـ) عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أسبغوا الوضوء فإن أبا القاسم ﷺ قال : « ويل للأعقاب من النار » وله طرق أخرى على هذا الشكل عن طريق آدم كما في تدريب الراوي .

ب ـ الإدراج وسط المتن :

وهذا مثل حديث في مبدأ صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها : « كان النبي ﷺ يتحنَّث في غار حراء ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد » والعبارة المعترضة هي توضيح من الإمام ابن شهاب الزهري ، وهذه زيادة على ألفاظ الصحابي ، لأن الحديث من فعله عليه الصلاة والسلام .

وكذلك الإدراج في وسط حديث رواه الإمام النسائي عن فضالة رضي الله عنه مرفوعاً : « أنا زعيم ـ والزعيم الحميل ـ لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة » والعبارة المعترضة زيادة من عبد الله بن وهب أراد بها التفسير[1] .

ج ـ الإدراج آخر المتن :

وهو الأغلب لأنه يمثل تعليق الراوي على النص الذي هو خطاب للجميع فالراوي محدث ومربٍّ ، ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) تدريب الراوي ص/ ٩٧ .

مرفوعاً : « للعبد المملوك أجران » فوضّح أبو هريرة الأجرين بقوله يتمنى الرق : « والذي نفسي بيده لولا الجهاد والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك » .

ونعجب كيف يتصور بعضهم أن تكون هذه الأمنية في الكلام النبوي مع العلم بأن آمنة بنت وهب قضت وهو طفل ، ويضاف إلى هذا دعوة القرآن والسنة إلى تحرير الرقيق لا إلى تمني الرق فضلاً عن كونه نبياً .

ومنه حديث في سنن أبي داود : حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي ، حدثنا زهير بن معاوية ، عن الحسن بن الحر ، عن القاسم بن مَخِيمرة قال :

أخذ علقمة بيدي وحدثني أن عبد الله بن مسعود أخذ بيده وأن رسول الله ﷺ أخذ بيد عبد الله فعلّمه التشهد في الصلاة وقال : « قل : التحيات لله والصلوات . . . » فذكر التشهد .

قال : « فإذا قلت هذا فقد قضيت صلاتك ، إن شئت أن تقوم فقم ، وإن شئت أن تقعد فاقعد » هكذا رواه جماعة عن زهير وغيره عن الحسن بن الحر وعبارة (إذا قلت هذا) من كلام عبد الله بن مسعود .

وقد رواه شبابة بن سوار عن ابن مسعود ففصله ، وبيّن كما في سنن الدارقطني أنه من قول ابن مسعود ، فقال : قال عبد الله :

« فإذا قلت ذلك فقد قضيت ما عليك من الصلاة فإن شئت أن تقوم فقم ، وإن شئت أن تقعد فاقعد » ، وعقب الإمام الدارقطني بقوله : « شبابة ثقة ، وقد فصل آخر الحديث ، وجعله من قول ابن مسعود ، وهو أصح من رواية من أدرج » والحديث مسلسل كما ترى في تكرار حدث الأخذ باليد عند الرواة .

د ـ الإدراج في السند :

وهو الأقل وله أشكال[1] :

١ ـ اختصار الأسانيد أو جمعها :

وهو أن يسمع الراوي حديثاً عن جماعة مختلفين في إسناده ، فيرويه عنهم بإسناد واحد ، من غير أن يبين اختلافهم .

جاء في سنن أبي داود : ٢/ ١٠٠ : حدثنا سليمان بن داود المهري ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني جرير بن حازم وسمى آخر ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم بن ضمرة والحارث الأعور (٦٥هـ) ، عن علي رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « فإذا كانت لك مئتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم . . . » .

وقد أدرج فيه إسناد آخر ، لأن عاصم بن ضمرة رواه موقوفاً على عليّ رضي الله عنه ، في حين رواه الحارث الأعور مرفوعاً ، لكن الحارث متهم بالكذب ، فجاء جرير بن حازم (١٧٥هـ) وجعله مرفوعاً من روايتهما .

وقد ذكر الإمام أبو داود أن شعبة بن الحجاج وسفيان وغيرهما رووا الحديث عن أبي إسحاق ، عن عاصم عن علي موقوفاً ، فقد وهم جرير ، فجعل الحديث مرفوعاً من رواية عاصم أيضاً ، وأدرجها مع رواية الحارث .

ومنه حديث الإمام الترمذي من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري ، عن واصل الأحدب ومنصور والأعمش ، عن

---

(١) منهج النقد ، د . نور الدين عتر ، ص/ ٤٤٠ .

أبي وائل ، عن عمرو بن شرحبيل الشعبي (١٠٣هـ) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

قال : « قلتُ : يا رسول الله ، أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك . قال : قلت : ثم ماذا ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يَطعم معك ، قال : قلت : ثم ماذا ؟ قال : أن تزني بحليلة جارك » .

وبيّن العلماء أن واصلاً لم يذكر في سنده عمرو بن شرحبيل ، وإنما روى عن أبي وائل عن ابن مسعود مباشرة ، فإدخال عمرو بن شرحبيل إدراج على مسند منصور والأعمش .

ويتضح الإدراج بالعرض على رواية صحيح البخاري من رواية يحيى بن سعيد القطان عن الثوري بإسنادين إلى واصل من غير عمرو ، أحدهما عن منصور ، والآخر عن الأعمش وهكذا لم يشر ابن مهدي إلى تعدد الإسناد ، فأوهم السامع بأن واصلاً روى عن عمرو .

٢ ـ إبدال الأسانيد :

أي يكون الحديث عند راوٍ إلا طرفاً منه يكون بإسناد آخر فيرويه عنه راوٍ تاماً بإسناد واحد من غير بيان للإدراج ، أو أن يكون عند الراوي حديثان بإسنادين ، فيجمع بينهما بإسناد واحد .

ومنه حديث في الصحيحين عن سعيد بن أبي مريم عن مالك عن الزهري ، عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تنافسوا » .

فقوله : (ولا تنافسوا) مدرج في الحديث بهذا السند ، فهو من حديث آخر عن مالك عن أبي الزناد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ، فالإدراج هنا في المتن والسند .

٣ ـ عارض على السند :

وهذا إذا باشر المحدث بإسناد وانتهى منه ثم عرض له عارض فتكلم بكلام يظنه السامع متناً للمسند المذكور .

ومنه قصة ثابت بن موسى الزاهد في سنن ابن ماجه ح(١٣٣٣) ، إذ دخل على شريك بن عبد الله القاضي وهو يقول : ثنا الأعمش عن أبي سفيان ، عن جابر قال رسول الله ﷺ : وسكت حتى يكتب المستملي ؛ وهو الذي يبلغ الصوت إلى الطلاب فلما نظر إلى وجه ثابت قال : « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » ، فظن ثابت أن إطراء شريك هو متن الحديث .

٤ ـ أمارات الإدراج :

نظراً لأهمية الإدراج فقد أولاه علماء الحديث اهتماماً كبيراً ، لأنه إن كان متعمداً بدعوى أنه من المتن كان موضوعاً ، أما إذا كان زيادة للبيان فينبغي فصله ، وقد استندوا في كشف الإدراج إلى عدة وسائل :

١ ـ **الاستحالة** : وهذا كما وجدنا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « للعبد المملوك أجران » إذ يستحيل أن يتمنى النبي عليه الصلاة والسلام الرق وكونه فقد أمه صغيراً .

كذلك يستحيل إضافة التطير إلى النبي عليه الصلاة والسلام كما في حديث : « الطيرة شرك ، فالمدرج « وما منا إلا » زادها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، فلا يصح أن ينسب الشرك إلى النبوة .

٢ ـ **تصريح الصحابي** : وهذا في أن يصرح الصحابي بأنه لم يسمع تلك العبارة من النبي عليه الصلاة والسلام ، وكنا قد ذكرنا شيئاً من هذا في

بحث الحديث المضطرب وأن عبارة أقر ابن مسعود أنها من كلامه وهي « من مات يشرك بالله » .

وفي رواية[1] لابن مسعود رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول كلمة : « من جعل لله نداً دخل النار » وأخرى أقولها : « من مات لا يجعل لله نداً دخل الجنة . . . » .

٣ـ تصريح الرواة : فقد يصرح بعض الرواة بفصل العبارة المدرجة كما كان في سنن الدارقطني في فصل شبابة به سوار لعبارة عبد الله بن مسعود في سنن أبي داود ح(٩٧٠) . وهي : « فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك ، إن شئت أن تقوم فقم ، وإن شئت أن تقعد فاقعد » .

ومن مصنفات الحديث المدرج :

١ـ الفصل للوصل المدرَج في النقل ، للخطيب البغدادي .

٢ـ تقريب المنهج بترتيب المدرج لابن حجر العسقلاني وهو تلخيص لكتاب الخطيب البغدادي وتنقيح له ، وزيادة على قدره مرتين ، فكان جامعاً وافياً .

* * *

(١) حاشية لقط الدرر ، ص/ ٩١ ، توضيح الأفكار : ٢/ ٦٢ .